African Journal of Advanced Studies in Humanities and Social Sciences (AJASHSS)
المجلة الإفريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية
Online-ISSN: 2957-5907
Volume 3, Issue 4, October - December 2024
Page No: 490-504
Website: https://aaasjournals.com/index.php/ajashss/index
Arab Impact factor 2023: 1.25 **SJIFactor 2024: 6.856** **ISI 2024: 0.846**

العوامل المؤثرة في نجاح القادة المسلمين: الصلت بن مالك أنموذجًا

كاملة بنت سليمان بن محمد الريامية [1*]، أ.م.د. محمد أنس المحسن [2]
[2،1] جامعة السلطان إدريس، ماليزيا

Factors affecting the success of Muslim leaders: Al-Salt bin Malik as a model

Kamla Suliman Mohammed Al Riami [1*], Asst. Prof. Dr. Muhammad Anas Al Muhsin [2]
[1,2] Sultan Idris Education University

*Corresponding author	kaka97722983@gmail.com	*المؤلف المراسل
Received: October 16, 2024	Accepted: December 14, 2024	Published: December 21, 2024

الملخص

تهدف الدراسة إلى تحليل تاريخي لشخصية عظيمة تلقب " ملك الصوت"، الصلت بن مالك الخروصي، الذي يعد أحد أبرز الملوك في تاريخ عمان قديماً، وتركز الدراسة على الدور السياسي والاجتماعي الذي قام به " الصلت بن مالك" في بناء الدولة العمانية، وتوثق على أهم الأحداث والإنجازات التي ارتبطت بفترة حكمه، وأثرها في ترسيخ الاستقرار في المنطقة.

اعتمدت الباحثة في الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، فقد قامت الباحثة بدراسة المصادر العمانية التاريخية القديمة، ومقارنة الأحداث الموثوقة في الروايات العمانية بالمصادر الإقليمية، كإنقاذ سقطرى، وأيضًا قامت بتحليل الأثر الثقافي والسياسي لحكم الصلت بن مالك، ومقارنة وثيق الإمام الصلت بن مالك بوثيق جنيف.

توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج أبرزها: إن شخصية" الصلت بن مالك" شخصية محورية في تشكيل الهوية العمانية، ساهمت في توحيد عمان قديما، وترك بصمة على الهوية العمانية من خلال الإنجازات التي قام بها، فقد سعى إلى تقوية الروابط الاجتماعية، والثقافية بين القبائل العمانية تحت سلطة مركزية واحدة، فحكمه تميز بالعدل والحكمة وترسيخ القيم الدينية، والازدهار السياسي والثقافي الذي امتد لتؤثر على الأجيال القادمة، حيث ظل يذكر كرمز للوحدة والاستقلال والسيادة العمانية.

توصي الباحثة بالاستفادة من تراث التاريخ العماني، لأنه يعزز الهوية الوطنية، والإستفادة من إنجازات " الصلت بن مالك"، من خلال تضمين سيرته وإنجازاته في المناهج التعليمية والأنشطة الثقافية، وتوصي الباحثين والأكاديميين بتكثيف الدراسة عن تاريخ عمان القديم، وتسلط الضوء على ملوكها، والشخصيات المؤثرة التي لها دور كبير في عمان قديما، وتركز على تحليل الأحداث التاريخية التي واكبت عهده.

الكلمات المفتاحية: الصلت بن مالك، القادة المسلمين، الهوية العمانية.

Abstract

The study aims to provide a historical analysis of a great personality nicknamed "The King of Voice", Al-Salt bin Malik Al-Kharousi, who is considered one of the most prominent kings in

the history of Oman in ancient times. The study focuses on the political and social role played by "Al-Salt bin Malik" in building the Omani state, and documents the most important events and achievements associated with his reign, and their impact on establishing stability in the region. The researcher relied on the historical analytical approach in the study, as she studied ancient Omani historical sources, and compared the reliable events in Omani narratives with regional sources, such as the rescue of Socotra. She also analyzed the cultural and political impact of the rule of Al-Salt bin Malik, and compared the document of Imam Al-Salt bin Malik with the Geneva Document. The researcher reached a set of results, the most prominent of which are: The personality of "Al-Salt bin Malik" is a pivotal figure in shaping the Omani identity, contributed to the unification of ancient Oman, and left an imprint on the Omani identity through the achievements he made, as he sought to strengthen social and cultural ties between the Omani tribes under one central authority, as his rule was characterized by justice, wisdom, and the consolidation of religious values, and political and cultural prosperity that extended to affect future generations, as he continued to be remembered as a symbol of unity, independence, and Omani sovereignty.
The researcher recommends benefiting from the heritage of Omani history, because it enhances the national identity, and benefiting from the achievements of "Al-Salt bin Malik", by including his biography and achievements in educational curricula and cultural activities, and recommends that researchers and academics intensify the study of ancient Omani history, and shed light on its kings, and influential figures who played a major role in ancient Oman, and focus on analyzing the historical events that accompanied his reign.

Keywords: Al-Salt bin Malik, Muslim leaders, Omani identity.

المقدمة:

قيمة المرء في الحياة الدنيا، بقدر تأثيره في مجرى الحياة، وبهذا الميزان توزن عظماء الرجال ويظهر من تفكيرهم الحر وعبقريتهم جلائل الأعمال. فكل يوم نقرأ فيه عن عمان أو نزور أحد المواقع، نكتشف شيئا جديدا عن حضارة موغلة في القدم، حضارة كانت تعد من أهم مناطق التصدير والملاحة في العالم القديم، فكان لزاما علينا أن نحافظ على الموروث العماني بكونه الثروة الحقيقية والهوية القومية. فلن تبلغ أي أمة إلا بسلطان العلم، وذلك بأن تجسد في شخصية أبنائها الذين تتوقد فيهم شعلة العلم، فالعلم هو المصباح الذي نستضيء بنوره في ردهات الحياة، وكان لزاما علينا أن نشد على أيدي هذا الجيل الصاعد ليتمسك بالعلم والعمل حتى تصعد الأمة، وتحقق المأمول بإذن الله.

التاريخ يعد ذات أهمية كبرى على مستوى الأمة والفرد، فهو يمد الأمة بمعطيات ضرورية لتغيير الذات وبناء مستقبل مشرق ومشرف، كما تتجلى أهميته على مستوى الفرد في توجيهه إلى القيم العالية والمثل السامية، ومجمل القول أن التاريخ ذاكرة الأمة ومحور من محاور الهوية، ويعرف العالم قيمتهم، بل الكون ومن بين هؤلاء الرجال العظماء والقادة الأبطال، الإمام" الصلت بن مالك الخروصي اليحمدي الأردي"، من أشهر أئمة عمان في القرن الثالث الهجري، كان ناكسا متعبدا، عالما عادلا عارفا بكتاب الله، وكان مثالا في التواضع والزهد وحسن السيرة، الذي بويع بانتخاب العلماء، وأهل الرأي في اليوم الذي توفي فيه" المهنا بن جيفر"، يوم الجمعة قبل غروب الشمس لستة خلت من ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين ومائتين، وفي عهده جاء اللغوي المعروف" ابن دريد" إلى وطنه عمان، حيث قال: " كنت بعمان مع الصلت بن مالك الشاري، وكانت الشراة تدعوه أمير المؤمنين، وكانت السنة كثيرة الأمطار، ودامت على الناس فكادت المنازل تتهدم، فاجتمع الناس، وصاروا إلى الصلت، وسألوه أن يدعوا لهم، فخرج وصلى بهم فقال: " اللهم إنك أنعمت فأوفيت، وسقيت فأرويت، فعلى القيعان ومنابت الشجر، وحيث النفع لا الضرر، فاستحسنت ذلك منه".

مسوغات اختيار عنوان البحث:

ـ إيماني الشديد بالإسهام في إحياء تراثنا العربي العريق، ونشره، والوقوف عليه، ليعم النفع به، ولتكون منارًا أمام الدارسين، وراء العلم والمعرفة.

ـ اختياري الشديد عنوان هذا الكتاب لم يأت جزافًا، وإنما جاء من رغبة صادقة دفعتني للإلمام به، فهذا العالم الجليل هو أحد علماء القرية التي أعيش فيها، مما كانت لي العزيمة الصارمة في إحياء علماء قريتي.

ـ هذا الإمام الجليل أمضى خمسا وثلاثين سنة في حكمه، مارس فيها العدل في أجمل صوره، وأصدق مظاهره، وقد كتب وثيقة من أرقى الوثائق في الشؤون الدولية لا تقارن بأي اتفاقية.

أهمية الدراسة:

هذا الدراسة تعد إضافة للمكتبة العمانية والعربية والإسلامية.

وقد قسمت الباحثة الدراسة إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: سيرته الذاتية

الصلت بن مالك (اسمه ونسبه ونشأته ووفاته ومبايعته).

المبحث الثاني: الأحداث التي حدثت في زمنه:

إنقاذ سقطرى.

اهتمامه بالأسطول البحري.

المبحث الثالث:

الوثيقة التي كتبها الإمام.

الأسباب التي اقتضت عزل الإمام الصلت بن مالك عن الإمامة.

المبحث الرابع:

مقارنه بين اتفاقيه الإمام واتفاقيه جنيف.

التمهيد:

قبيلة اليحمد: قبيلة بني خروص يعود أصلها إلى قبائل زهران قحطا نية الأصل، بدأت قبيلة اليحمد ببناء مجدها منذ القرن الثاني للميلاد، وهو ما يعرف بدولة اليحمد، فهم بين إمام مجاهد أو علامة مجتهد أو أمير حتى قيل فيهم:" لو انتسب العلم لقال كندي ولو انتسبت الإمامة لقال خروصي"، وقيل: بأن أكثر الأئمة في عمان كانوا من اليحمد من بني خروص [1]، ويذكر أن عدد أئمة بني خروص ثلاثة وعشرون إماما، كما عرف عنهم إلى جانب التقوى والزهد والشجاعة وحب العلم" الكرامات " حفظها التاريخ إلى يومنا، وتتميز وادي بني خروص بموقع استراتيجي نظرا لكونها مرتفعة وتمثل دورا محوريا، وتشكل الطريق التي تربط الجبل الأخضر بولايات جنوب الباطنة، والساحل إحدى الطرق الفريدة للتنقل والمرور، والتجارة القادمة من الساحل إلى بلدان عمان، وحمايتها من النهب والتسلط عليها.

تقع قرية الصلوت جنوب غرب ستال في قلب وادي بني خروص بولاية العوابي، وتتمتع قبيلة بني خروص بمكانة مرموقة، وعالية اكتسبتها عن جدارة نظرا لما اتصفوا به من رزانة، واتزان وحكمه، ورجاحة عقل جعلتهم محل ثقة من أهل الحل والعقد، وزعماء القبائل والعلماء، فلا يخشى منهم جوارا أو فتنة أو تسلط، حتى إن السيابي وصفهم بأنهم: " أيسر قبيلة يتفق العمانيون على إمامتهم"[2]، توجد في قرية الصلوت حصن الصلوت الشهير الذي يتكون من أبراج دفاعية في أعلى قمة بالجبل، ويستخدم دفاعا ضد الأطماع، ويحتوي على مسجد وغرف وحوض ماء، ويحيطه السور الخارجي الذي بقى أجزاء منه، أما

1- الريامي، علي بن سالم، قضية عزل الإمام الصلت بن مالك الخروصي: نتائجها السياسية وأثارها الفكرية على عمان حتى أواخر القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي (دراسة تاريخية) رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإجتماعية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، مارس 2006، ص14.[1]

ـ السيابي، سالم بن حمود بن شامس، تاريخ عمان، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ط2، 2015م، السيب، سلطنة عمان ص152.[2]

المسجد الذي يتوسط الحصن ما زال شامخا محتفظا على مكانته، متمسكا، يوحي إلى الامتداد الحضاري التي شهدتها القرية خلال العقود الماضية[3].

المبحث الأول:

نسبه:

الإمام الصلت بن مالك بن عبد الله بن مالك الخروصي اليحمدي الستالي الأزدي، وهو من بني خروص التي يعود نسبها إلى خروص بن شاري بن اليحمد بن عبد الله بن عثمان بن نصر بن زهران بن كعب، من أشهر أئمة عمان في القرن الثالث الهجري.

لدى الإمام الصلت بن مالك أربعة أبناء وهم: أحمد، وعفيف، ويرجع له نسب آل عفيف مفردها العفيفي المتواجدون حاليا في محافظة الداخلية، وشاذان وهو جد آل الخليل، ومحمد وهو جد الصلوت .

كان الإمام الصلت ناكسا متعبدا، عالما عارفا بكتاب الله عادلا، وكان مثالا في التواضع والزهد وحسن السيرة، نال شرف الإمامة في اليوم الذي مات فيه الإمام العادل المهنا بن جيفر الخروصي، ولم تورد المصادر والمراجع تأريخا محددا متفقا عليه لتاريخ ولادة الإمام الصلت بن مالك خاصة وأن كتب السير العمانية ركزت على ذكر تواريخ البيعة والوفاة فقط، لكن الآثار حددت لنا مكان مولده ونشأته في قرية ستال "حلة الغبرة" في وادي بني خروص، ولا تزال أطلال منزله قائمه إلى يومنا هذا، كما أن الإمام الصلت بنى مسجدا يحمل اسمه، وأحيانا يسمى" بمسجد الغبرة " نسبة إلى الحي الذي بني فيه[4]، قال أبو قحطان: " سار الصلت بن مالك بالحق في عمان ما شاء لله حتى فني أشياخ المسلمين جملة الذين بايعوه، لا نعلم أحدا منهم فارقهم، وعمر الصلت بن مالك في إمامتهما لم يعمر إمام من أئمة المسلمين فيما علمنا، حتى كبر ونشأ في الدولة شباب وناس يخشعون من غير ورع، يظهرون حب الدين، ويأكلون الدنيا بالدين"[5].

وفاته:

قال الإمام السالمي رحمه الله: وبلغ الخبر بموت الإمام الصلت، إذ مات رحمة الله عليه ليلة الجمعة في النصف من ذي القعدة سنه خمس وسبعين ومائتين للهجرة، ودفن يوم الجمعة، وصلى عليه الإمام عزان بن تميم الخروصي الذي نصب بعد راشد بن النظر إماما، فلما علم القاضي عمر بن محمد خرج إلى نزوى فتكلم قائلا: اليوم مات إمامكم فتمسكوا بدينكم، أي كأنه يراه باقيا على إمامته.

اختلفت الآراء في مكان دفن الإمام الصلت بن مالك، فهناك من يؤكد أنه دفن في مقبرة الأئمة بنزوى بينما رأي آخر يرجح على وجود قبره على رأس فلج "دنين" من سعال الجنوبية، أما الرأي الثالث فيؤكد على أن قبر الإمام موجود في مصرح مسجد صغير بنزوى.

ترجع شهرة الإمام وخلود سيرته عبر الأزمان إلى ما تميزت به سمعته التي ذاع صيتها بين الحاكم والمحكوم على حد السواء، حتى صارت مضرب الأمثال لخصالها التي قاربت الكمال أخلاقاً وسلوكًا ومواقفاً.

مؤهلاته:

اكتسب الإمام عدد من المؤهلات ليكون أحد المرشحين لمنصب الإمامة، أبرزها: العلم بالأحكام الشرعية والفقه، وقدرته الإدارية والعسكرية[6]، فقد عبر أحد فقهاء المذهب عن ذلك بالقول: فإذا ظهر المسلمون اجتمع في الأرض فقهاؤهم وذوو الرأي وأهل الفضل منهم واجتهدوا في الله النصيحة، فاختاروا رجلا طاعة لله لا لطاعتهم .....ثم يختارونه لله أفقههم وأعلمهم وأقواهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى الحكم

---

[3] ـ مقال: قرية الصلوت بوادي بني خروص بالعوابي إرث حضاري وشواهد تاريخية باقيه، منى الخروصية، جريدة الوطن، الإثنين، 6 فبراير، 2020.

[4] ـ الخروصي، صالح بن عامر، نبذة تعريفية عن ولاية العوابي، ملامح من تاريخ العوابي عبر العصور (المطابع العالمية، مسقط، 2003)، ص20.

[5] ـ أبو قحطان، خالد بن قحطان، سيرة أبي قحطان، السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان، ج1، تحقيق سيدة اسماعيل كاشف، ط2 (وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، 1989م)، ص81 .

[6] ـ أبو اسحاق، إبراهين بن قيس، مختصر الخصال(وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، 19884م)، ص194.

بالعدل ..."[7]، فقد كان يتمتع بمؤهلات علمية من خلال ما أوردته بعض الكتب الفقهية، من مسائل وأقوال متفرقة له في علم الشريعة والفقه في العديد من المخطوطات الفقهية التي تزخر بها المكتبة العمانية[8]، وقد عرف عن الإمام الصلت حرصه الشديد واهتمامه على حضور مجالس العلماء والأئمة والولاة والفقهاء، والمؤرخين بما مكنه من التعرف عن كثب على فتاويهم في مسائل النوازل والمسائل التي كانت تتم مناقشتها[9]، وورد في كتب الفقه عند الحديث عن مسائل فقهية رواها الإمام الصلت بن مالك من ذلك نورد على سبيل الذكر لا الحصر، إفتاءه حول المسألة التي تتعلق بحد القذف، وقد أثيرت هذه المسالة في حضور والى سمائل واسمه "عشيرة بن عبدالله" أبان عهد الإمام "غسان بن عبدالله"، وقد تطرق في تلك المسألة إلى حكم الوالي، بعد مكاتبة الإمام غسان، واستشاره العلماء بشأنها[10]، هذا كله يقودنا إلى أن الإمام الصلت قضى شبابه طالبا للعلم، ومرتادا لمجالس الأئمة والولاة والعلماء، وهذا يعني أنه لم يبق في مسقط رأسه بل ارتحل كغيره طلبا للعلم خاصة إلى مدينة نزوى عاصمة الإمامة، والتي كانت محط أنظار المتعلمين، وقبلة العلماء والمتعلمين من مختلف أصقاع البلاد، مكن ذلك الإمام الصلت من اكتساب خبرة ودراية بالسياسة والقيادة، الأمر الذي جعله يحظى برضى أهل الحل والعقد وزعماء القبائل، وكان عهده خير العهود، وفي هذه الدولة اليحمدية وصلت فيه دولة اليحمد إلى درجات من الفخامة والإجلال والقوة والمال والعلم، لولا بعض الفتن والمشاكل السياسية الداخلية التي مرت في آخر عهده لكان عصرا أمثل، أكسبه حضوره لتلك المجالس خبرة ودراية بالأمور الإدارية والسياسية، إذ عادة ما يتم فيها المواءمة بين السياسة والدين، الأمر الذي جعله يحظى باحترام أهل الحل والعقد، ويؤكد ابن رزيق هذا المعنى في بيت من الشعر يقول:

وكان أولهم في العلم وارثهم والصلت مثل المهنا بالعلوم طما[11].

مبايعته:

بويع الإمام الصلت بن مالك الخروصي إمام في نفس اليوم الذي توفي فيه المهنا بن جيفر، يوم الجمعة قبل غروب الشمس لستة عشر خلت من ربيع الآخر سبع وثلاثين ومائتين (237)، انتخبه العلماء وشيوخ القبائل والقادة، وممن بايعه من العلماء "بشير بن المنذر" و"محمد بن محبوب بن الرحيل"[12]، و"أبو المؤثر الصلت بن خميس ومحمد بن علي"، و"زياد بن الوضاح بن عقبه"[13]، و"سليمان بن الحكم" و"المعلي بن منير"، ولا شك أن التعجيل بتنصيب الإمام في نفس اليوم له ما يبرره من ذلك ما أورده "الشقصي" عن العالم "موسى بن علي" قوله: "لا يجهز جيش ولا تعقد راية ولا يؤمن خائف، ولا يقام الحد، ولا يحكم بحكم غير مجتمع عليه إلا بإمام".[14]

يعد أطول الأئمة مدة في الحكم، امتدت نحو (35) عاما وسبعة شهور، اختيار الإمام الصلت وإجماع العلماء الكبير عليه واتفاقهم حول أحقيته واكتمال صفاته كان على حق واستحقاق، فقد تميزت الدولة فترة حكمه بالاستقرار السياسي، والأمن والأمان، فلم تعصف بها التيارات أو على الأقل لم يسجل المؤرخون نشوب اضطرابات خلال تلك الفترة من التاريخ.

قال عنه ابن رزيق:

فبويع بعده الصلت انتصارا لدين الله طوعا لا اغتصابا[15].

وفي قصيدة للشيخ" السيابي"، يتطرق فيها إلى مبايعة الإمام الصلت ومما جاء فيها:

في عام سبع وثلاثين مضت لست عشر ليله قد انقضت

---

[7]- أبو المؤثر، الصلت بن خميس، كتاب الأحداث والصفات، تحقيق جاسم ياسين محمد الدرويش (وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، 1996م)، ص61.

[8]- السالمي، عبدالله: التحفة، ج1، ص168- 193.

[9]- الموسوعة العمانية ص 2171.

[10]- العوتبي، سلمة بن مسلم، الضياء، ج4 (مسقط، وزارة التراث القومي والثقافة، 1991م)، ص118.

[11]- ابن رزيق: الصحيفة القحطانية، ص812.

[12]- الإزكوي، سرحان بن سعيد، كشف الغمه الجامع لأخبار الأمة، تحقيق أحمد عبيدلي (دلمون للنشر، نيقوسيا، 1985)، ص264.

[13]- أبو المؤثر، الصلت بن خميس، كتاب الأحداث والصفات، تحقيق جاسم ياسين محمد الدرويش (وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط 1996)، ص3-4.

[14]- أطفيش، محمد بن يوسف، شرح كتاب النيل وشفاء العليل ج1/4(وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط،1989)، ص333.

[15]- ابن رزيق، حميد بن محمد، الشعاع الشائع في ذكر أئمة عمان، تحقيق عبد المنعم عامر (وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، 1984)، ص48.

وكان فيها علما كثير وفيهم ابن منذر بشير
فعقدوا للصلت بن مالك في عصر ذاك اليوم للتدارك[16]

صفاته:

كان رجلًا من أفضل وأكرم الرجال في عصره، جوادا بجوده يملك قلوب الرجال، طيب القلب، دمث الأخلاق، شديد الثقة بالله وبإخوانه، سمحا متسامحا، صريحا صافحا عمن يسيء إليه مهما كانت خطيئته، صادقا يحب الصدق ويحث عليه، وله في المخطوطات العمانية أقوال كثيرة في الشريعة تؤثر عنه، وكان عهده خير العهود، وصلت دوله اليحمد في عهده إلى درجات من الفخامة والإجلال والقوة والمال والعلم، ولم يتوقف المديح والثناء عند الشعراء أو المؤرخين القدامى للإمام" الصلت"، بل امتد حتى عصرنا الحالي، فلا يزال الشعراء يخلدون ذكرى حكم" الصلت بن مالك"، وأمجاده ويثنون على أخلاقه[17].

اتبع الإمام مسار من يبقه من الأئمة: فأرسى دعائم الحق، وعزت البلاد، وكثرت الأرزاق، وبارك الله في الثمار والحلال، وعم الرخاء والازدهار، كانت طريقة الإمام في الحكم تشاوريه اقتداء بغيره من الأئمة السابقين.

اتسم تعامله مع الناس بالتعقل والحكمة في اتخاذ القرارات حفاظا على العدل والمساواة، والخشية من الله، لذلك تعد فترة حكمه من الفترات النادرة التي طبقت فيها أحكام المنهج الإباضي بصورة تكاد تكون مثالية احتكاما إلى رأي المؤرخين والنقاد.

مدح ابن رزيق سيرته قائلاً:

وفاض العدل منه في عمان وما ألفت بسيرته الخرابا
فعمر في الإمامة وهو عدل ولم يحدث إليه الفعل عابا[18]

عم العدل وانتشرت المساواة بين الناس، كان حريصا على تطبيق المنهج الإباضي بمختلف أحكامه وتفاصيله الفقهية، وقد تجسد ذلك واقعا من خلال المعاملات التي كانت تحكم الناس في عصره، وطريقة اختيار الولاة وتحديد مسؤولياتهم وأعمالهم حتى لا يحيدون عن المسار المستقيم الذي انتهجه، وحتى يجنب الناس الظلم، هذا المنهج طبق كذلك عند التعامل مع الأعداء، وعند تولي شؤون الحرب حيث لم يعد للعصبية أو التفرد بالكلمة أو السلطة من دور.

المبحث الثاني: الأحداث التي حدثت في زمن الإمام الصلت

في الثالث من جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين ومائتين حدثت سيول جارفة، وأودية مهلكة، ورياح عاتية في سمائل، والباطنه، وبدبد، ودما، وبركاء، والسيب، وصحار، أمر عظيم جليل نزل عليهم في الليل وثمارهم متعلقة في نخيل محدقة، جاءهم دوي وظلمة، وهول مفزع، شهدت كارثة طبيعية أو ما يعرف "بالجائحة"، انهمرت الأمطار بشدة أدت إلى فيضان الأنهار واكتساح السيول، تشرد الناس من سلم جرف الأودية والسيول، وذهب ضحية الفيضان كثير من الناس، فقتلت الألوف المؤلفة من أبناء هذه البلدان، وطمرت بعضها تحت التراب والأوحال، فأصبح السالم منهم فقيرا يطلب الأكل والشيء اليسير، أعظمهم جائحة وأشدهم فادحه أهل بدبد وفيقا، وتفرق من بقي منهم، وتركوا الأوطان، وعان الناس مجاعة بعد الفيضان، حتى إنه ليمر بها الإنسان فتأخذه لمنظرها رهبة، وبعدها أسرع الإمام الصلت بتشكيل لجنه لحصر الأضرار، وجمع التبرعات، ومساعدة المحتاجين، وإعمار المدن المنكوبة وأجيز استغلال المناطق الزراعية التي نفق مالكوها، ولم يعد لهم أثر، وقد صور التاريخ العماني المأساة بكل تفاصيلها[19].

في عهده جاء اللغوي المعروف "ابن دريد" إلى وطنه عمان حيث قال:(كنت بعمان مع "الصلت بن مالك" الشاري، وكانت الشراة تدعوه أمير المؤمنين، وكانت السنة كثيرة الأمطار، ودامت على الناس

---

16. السيابي، خلفان بن جميل، سلك الدرر الحاوي غرر الأثر، ج2(مسقط، وزارة التراث القومي والثقافة 1981)، ص572.
17. الخروصي: سليمان بن خلف بن محمد، ملامح من التاريخ العماني، ط4، 2006م، ص121
18. ابن رزيق: الشعاع، ص48.
19. السالمي، عبد الله: التحفة، ج1، ص161- 165. الحجري، محمد بن ناصر، نظام الأفلاج في عمان ودورة في التنمية (مطابع النهضة، روي 1998)، ص63.

فكادت المنازل تتهدم، فاجتمع الناس وصاروا إلى الصلت وسألوه أن يدعو لهم، فأجل بهم أن يركب من الغد إلى الصحراء، ويدعوا فقال لي: (صاحب) بكره لتخرج معي في غد، فبت مفكرا كيف يدعوا، فلما أصبحت خرجت معه، وصلى بهم، وخطب، فقال: " اللهم إنك أنعمت فأوفيت، وسقيت فأرويت، فعلى القيعان، ومنابت الشجر، وحيث النفع لا الضرر، فاستحسنت ذلك منه"[20].

وعلى صعيد الأحداث الداخلية أيضا يذكر" السالمي"، حدوث هزة أرضية بصحار، وذلك في الثاني عشر من شهر جمادى الآخرة سنة 265هـ/9 فبراير 879م، وكان الوالي على صحار من قبل الإمام الصلت يومئذ غداتة بن محمد[21] .

الإمام الصلت وانقاذ سقطرى:

كانت سقطرى والمكلا وحضرموت والمهرة كلها تحت رعاية عمان، حيث أن سقطرى قريبة من أرض الحبشة النصرانية، نظرا لموقعها المتميز، بالإضافة إلى أن الدين له دور مهم في تأجيج المشاعر، يبدوا أن سكان سقطرى لم يكونوا كلهم على الإسلام، بل هناك ما يشير إلى أن نسبة لا بأس بها من السكان كان على النصرانية، ولعل لهم مناطق محددة منها، ولهم ارتباطهم ببني جلدتهم من نصارى الحبشة، فكانوا أشبه بالطابور الخامس، ذلك ما يمكن تلمسه من عهد الإمام ووصاياه لجنده، الذين جندهم لنصرة المسلمين في الجزيرة، وإعادتها إلى سلطته "فإن رأيتم أن يكون صمدكم ومنزلكم قريبا من القرية الناكثة، فتحاصروهم، ويكون رسلكم إليهم من هناك" [22].

ثم يكون اختبار عزم الإمام وقوته وسطوة أسطوله على المستوى الخارجي حين يهاجم النصارى الأحباش جزيرة سقطرى دون علم الإمام، وهي في شقة بعيدة إذ ذاك، ولا طريق لها من البر والبحر لا يمكن عبوره إلا في الموسم الخاص، وكان" القاسم" واليا عليها من قبل الإمام بعمان، فقتلوا والي الإمام وفتية معه، وسلبوا ونهبوا وأخذوا البلاد وتملكوها قهر، ودنسوا المساجد، وحرقوا القرآن، واعتدوا على الأموال والنساء والأعراض، وطلقوا الأجراس النصرانية بدل الأذان، وحولوا المساجد إلى كنائس.

أما سقطرى فهي جزيرة تقع في بحر العرب وهي تتبع حاليا اليمن، وهي محدودة المساحة كثيرة الثمر والخير، يبلغ طولها ثمانون فرسخا، وبها نخل كثير، ويسقط إليه العنبر، وبها دم الأخوين، بينها وبين عمان بحر الحبشة، فكتبت امرأة من أهل سقطرى يقال لها "الزهراء السقطرية" قصيده للإمام تصف ما حدث وتشكوا إليه جورهم، وتستنجده لينهض للدفاع عن حرمة الإسلام فقالت:

قل للإمام الذي ترجى فضائله ابن الكرام وابن السادة النجب
وابن الجحاجحة الشم الذين هم كانوا سناها وكانوا سادة العرب
أمست سقطرى من الإسلام مقفرة بعد الشرائع والفرقان والكتب
قل للإمام الذي ترجى فضائله بأن يغيث بنات الدين والحسب
كم من منعمة بكر وثيبة من آل بيت كريم الجلد والنسب
تدعوا أباها إذا ما العلج هم بها وقد تلقف منها موضع اللبب

أخر الأبيات:

ما بال صلت ينام الليل مغتبطا وفي سقطرى حرم بادها النهب
يا لرجال أغيثوا كل مسلمة ولو حبوتم على الأذقان والركب
حتى يعود عماد الدين منتصبا ويهلك إله أهل الجور والريب[23].

وهي قصيدة طويلة، قال النور السالمي "فتصل الرسالة للإمام وتفعل فيه ما فعلت صيحة (وامعتصماه)في المعتصم، في فتح عمورية[24]، قد تلقفه عن طريق هو أشبه بالأسطورة، إذ وضعت الزهراء استغاثتها في أنبوبة، ثُمَّ ألقتها في البحر، ثُمَّ ساقتها الأمواج إلى عمان، فتلقاها الإمام، يبدو أن القصد من هذه الطريقة

1- السالمي، عبدالله: التحفة، ج1، ص63- 161.
[21]- السالمي، ج164/1، غداتة بن محمد: من علماء القرن الثالث الهجري، انظر: البطاشي، مرجع سابق، ص531.
[22]- السالمي، تحفة الأعيان، 173/1.
[23]- السالمي، عبدالله: التحفة، ج1، ص167.
[24]- عمورية: من بلاد الروم،(انظر: الحموي ن معجم البلدان، ج4، ص158 .

إثبات الكرامة للإمام، وإلا فإن سقطرى كانت جزءا من عمان ووالي الإمام عليها، وهناك من وسائل الاتصال المعهودة آنذاك ما لا يخفى، كما أن الإمام لم يكن ليهمل أو يقطع صلته بأطراف دولته، فمعروف القول عند الإباضية أن الحدود والزواجر أمرها للإمام، وقلّما يقطع الوالي فيها إلا من استثناه الأئمّة وهم قليل، لمزيد من الحيطة والحذر، ولا شك أن أمورا مهمة تعن للوالي، ويطلب لها الحكم الشرعي من الإمام.

رغم الاختلاف الزماني، والمكاني بين الحادثتين، إلا أن وجه الشبه بين إقدام الصلت على تحرير جزيرة سقطرى، وبين فتح عمورية جاء استجابة لصرخة امرأة، تدعو إلى استرجاع الكرامة، التي أهدرت على حين غفلة، فكان الرد سريعا وشجاعا من كلا الطرفين، فجمع الإمام الجيوش وجهز المراكب مكونا من مئة سفينة وهو عدد ليس بقليل وفق معطيات ذلك العصر، وولى عليهم شخصيتين مهمتين ولهما خبره كافية في إدارة الحملات العسكرية البحرية وهما: "محمد بن عشيرة"، و"سعيد بن شملال"، وحدد قواد آخرين، يقومون بالمهمة إذا حدث لهما مكروه، وهم على الترتيب: "حازم بن همام"، "عبد الوهاب بن يزيد:، "عمر بن تميم"، (فإن حدث بهما حدث ففي مقامهما حازم بن همام وعبد الوهاب بن يزيد وعمر بن تميم) [25]، و كتب لهم وثيقة يبين فيه ما يذرون[26]، ويوضح لهم معالم الحرب والسلم في الإسلام، فساروا إليه، وقد حقق الجيش الإسلامي نصرا مؤزرا على أهل النكث، ونصرهم الله عليهم فأخذوا البلاد (أعادوا السيطرة على الجزيرة)، وأخمد نار الفتنة، وخلص المسلمين من قبضة خصومهم، كما استمات الإمام من أجل تخليص الأسيرات المسلمات من أيدي النصارى، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً﴾ [27]، وهزموا الأعداء، وأمنوا سلامة الطرق البحرية، نظرا لما تمثله التجارة والملاحة من مصلحة حيوية وإستراتيجية للدولة، فكانت الحملة انعكاسا لقوة عمان البحرية، ورجعوا ظافرين مستبشرين[28]، فلمَّا أخلص أولئك لله كان الله معهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [29]، فتحقّق الوعد ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [30].

وثم يصبح دعا الزهراء صـــادقـة بعد الفسوق وتحيا سنة الكتب[31] .

اهتمامه بالأسطول البحري:

كما اهتم الإمام بتحديث الأسطول الذي زاد في عدد سفنه الكبيرة عن نيف وثلاثمائة سفينة، ترابط في الثغور العمانية، لتكون بالمرصاد لكل عدو يحاول تدنيس الأرض العمانية أو الاعتداء على سواحلها وممتلكاتها، حتى أن حاكم الهند استنجد بالإمام" الصلت بن مالك" بعدما ضاق ذراعا من قراصنة البحر، فأرسل الإمام كتيبة من كتائبه البحرية فقضت على حركة القراصنة، وأمنت السواحل الهندية من سرقاتهم، وعلى إثر ذلك أهدى حاكم الهند للإمام الصلت سيفا توارثته الأئمة من بعده، وقد كتب على السيف:

إذا بدا حد هذا الصارم الذكر فقل أعوذ برب الجن والبشر

الصارم الباتر الغضب الذي ظهرت للناس آياته في سالف العصر.

المبحث الثالث: الوثيقة

بلغت صفحات العهد ما يربو على الخمس عشرة صفحة، ضمنها الإمام وصاياه لقادة جيشه خصوصًا ولجنده عامة، والمتمعن في محتوى العهد يجد منطلقات الوصايا الإسلامية، ينتزع الإمام لكل مسألة دليلًا من الكتاب والسنة ليضمن عدم وقوع انحراف من الجيش، ولا بغي على العدو، ولا معرة يرتكبها عند

---

[25] ـ السالمي، تحفة الأعيان، 1/ 168.

[26] ـ الحارثي، السالمي، اليسرى في انقاذ جزيرة سقطرى م ص 24.

[27] ـ سورة النساء: 75.

27 ـ عبيدلي، حملة الإمام الصلت على جزيرة سقطرى والعلاقات العمانية المهرية، مجلة نزوى، ع13، يناير 1998م(مؤسسة عمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان، مسقط 1998م)، ص101.

[28] ـ سورة محمَّد: 7.

[29] ـ سورة الروم: 47.

[30] ـ بدرية الجهضمية، السيرة الزكية في المرأة الإباضية، ط2000م، ص101.

[31]

المصادمة، ولا تصفية عند الغلبة، والتمكن من الخصم، بل ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[32] .

إن هذا العهد يعتبر وثيقة حقوقية حريّ بالمنظمات المسماة بمنظمات حقوق الإنسان الإقليمية والعالمية الاطلاع عليها، لقد أبان الدكتور" محمَّد علي البار" مدير مركز البحوث الطبية بجامعه الملك عبد العزيز بجدة:" تعتبر وصية الصلت بن مالك وثيقة من أرقى الوثائق في الشؤون الدولية الإسلامية، وبخاصة في كيفية محاربة الأعداء، وكيفية معاملتهم، والإنذار لهم، وهي تمثل قيمة عالية، لم تصل إلى جزء يسير منها، مواثيق الأمم المتحدة في القرن العشرين"[33]، إن هذا العهد في غاية الأهمية، وأنه من أفضل ما سطر في هذا الجانب [34]، لذلك تعتبر هي أول وثيقة تشتمل على أحكام تفصيلية، وجهها لقادة جيشه المتوجهين لنصرة المسلمين المغدور بهم ليجلي حقائق كثيرة، تنبئ عن روح إسلامية وأخلاق محمَّدية، منها وجوب النصرة، وحماية الأرض والعرض، والذود عن الحياض، وحفظ الدين مع مراعاة حقوق الإنسان سواء أكان مسلما أو غير مسلم، وسواء أكان في حال الحرب أو حال السلم.

يرى العبري:"أن هذا العهد لم يكن عهدًا عسكرياً محضاً، بل يمكن اعتباره وثيقة تاريخية، ومنبعاً فكريًا، وأنه ذخيرة فقهية دقيقة الأحكام واسعة الآفاق، وأنه انطلق من مبدأ الإسلام، وأن الإمام الصلت لم يكتب إلى قواده كخطاب تكليف بالقيادة بقدر ما هو خطاب عام للجيش، وأن العهد كان موجها للجند، وركز على وجوب احترام العهد[35] .

<u>تحليل الوثيقة:</u>

بدأ خطابه بذكر الله وتوحيده، والنطق بالشهادتين، وإعلاء شأنه، استشهد بآيات قرآنية، وأحاديث نبوية في أغلب النصائح والإرشادات، منها: الالتزام بتقوى الله قوله: "فألزموا تقوى الله في الغيوب، وداووا بها داء العيوب،...والتوبة " فتوبوا إلى الله من سيء ما مضى....، الالتزام بالأخلاق: "واحرموا عن محارم الشهوات، وغضوا أبصاركم عن مواقعه الخيانة، واحفظوا فروجكم عن الحرام، وكفوا أيديكم وألسنتكم عن دماء الناس وأموالهم وأعراضهم بغير الحق، واجتنبوا قول الزور وأكل الحرام ومشارب الحرام وجماعة السوء ومداهنة العدو، وأدوا الأمانات إلى أهلها، وإن قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون، ...، الوفاء بالعهد: "وإذا حدثتم فلا تكذبوا، وإذا وعدتم فلا تخلفوا، ويطالبهم بإقامة الصلاة: "وأقيموا الصلاة بقيامها وقراءتها وركوعها وسجودها وتحياتها وتكبيرها وتسبيحها والخشوع فيها....."[36] .

أطنب الإمام ـ رحمه الله ـ في وصاياه، وشدد على جنده ليكونوا أكثر حذرا من أن تأخذهم نشوة النصر فيبغوا بغير الحق، أو يتجاوزوا مبدأ العدل الإسلامي، أو يخرجوا عن الوصايا الإلهية في حربهم المحاربين والناكثين من النصارى، مؤكدا لهم أيضا ضرورة رفع الظلم عن المسلمين، وبذل الجهد واستفراغ الوسع في تخليص نساء المسلمين من قبضة المحاربين.

لم يغفل الإمام التأكيد على قادة جيشه ضرورة الإنصاف، وتحري العدل بين جميع سكان سقطرى من المسلمين إباضية كانوا أو غير إباضية، اتباعا لمسلك أسلافه، الذين أثر عنهم القول "الناس منا ونحن منهم إلاَّ مشركا بالله عابد وثن، أو كافرا من أهل الكتاب"، وقول أبي حمزة الشاري: "لا أخالف وصيّة شيخي (يعني أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، ت145هـ) الذي أوصاه بقوله: لا تقتلوا طفلا ولا شيخا ولا امرأة"، وذلك يوم خروجهم في اليمن في عهد آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمَّد، وإذا بغى فريق من

---

[32] ـ سورة المائدة: 2.

[33] ـ البار، محمد علي " يوم الصلت في سقطرى، المجتمع، ع1311(الكويت: أغسطس 1998م).

[34] ـ علي الريامي، عزل الإمام الصلت بن مالك الخروصي، ص19

[35] ـ العبري، زاهر بن عبدالله، عهد الإمام الصلت بن مالك " محاضرة مسجلة " (تسجيلات مشارق الأنوار، روي 1998م).

[36] ـ السالمي، عبدالله، التحفة، ج1، ص170.

المسلمين فقد نص فقهاء الإباضية "لا سبيل على أموال الباغين" "فإذا انقضت الحرب فما وجد من السلاح أو متاع أو مال في العسكر، لم يحل غنيمته ولا إتلافه، ولا إتلاف طعام، ولا شيء سواه" [37].

إن العهد يجسد لنا صورة الإسلام الناصعة من حيث حسن التعامل ووجوب العدل مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[38]، وفي موضع آخر يبين لهم أداء الصلاة حضرًا وقصرًا وجمعًا، وهنا يؤكد على أهمية الحفاظ على ركن من أركان الإسلام لا يجوز تركه، حتى في أحلك الظروف وأصعبها.

أما عن وصايا أخلاقيات الحرب وكيفية معاملة العدو الأسرى والتصرف في الغنائم وكيفية تقسيمها، نجده يسلك مسلك الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم في أوامره وتوصياته " واعلموا أنه يقال أن السيوف مفاتيح الجنة، وأن الجنة تحت البارقة"، وفي حالة الاشتباك مع العدو أوصاهم بالقول: فلا تقتلوا صبيا صغيرا، ولا شيخا كبيرا، ولا امرأة، إلا شيخا أو امرأة أعانوا على القتال، ومن قتلتموه عند المحاربة، فلا تمثلوا به فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المثلة"[39]، إن هذه المبادئ والخطوط العريضة الحمراء، والوصايا الحضارية هي مأخوذة من نبي الرحمة محمَّد صل الله عليه وسلم فإنه قد «نهى عن قتل النساء والولدان» [40]، ومنع التمثيل بالجثث: "ومن قتلتموه عند المحاربة فلا تمثلوا به"[41]، وهو مأخوذ من نبي الرحمة إذ «نهى عن المثلة بالقتلى»، ونهى المسلمين من بيع السلاح، والحرب لم تزل مستعرة أو الديار غير آمنة، مخافة وقوعه بين يدي العدو، فيرتد إلى نحور المسلمين [42].

أما من نقض العهد، وبارز المسلمين بالقتال فقد روعيت أيضا حقوقه، فقد سلك الإمام في عهده مسلك أسلافه، واتبع هدي نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم إذ أوصى في عهده بما يلي: دعوة الناكثين للعهد إلى الإسلام "فإن قبلوا ذلك فهي أفضل المنزلتين لهم، وذلك يمحو ما كان من حدثهم" فالإسلام جب لما قبله.

إن القتال في الإسلام هو آخر الحلول ويأتي في المرتبة الثالثة، وله أيضا ضوابط شرعية، فلا إسراف في القتل، ولا بد من الإنذار "وهل يجوز الوقوع بهم وهم نيام في البحر؟" الجواب: "أحب أن يدعوا إلى الإسلام، إذا لم يكن بينهم وبين المسلمين قتال، فإن ثبتوا في البحر على يقين أنهم هم الذين يغزون المسلمين لم أر ذلك حراما"[43]، قال الإمام الصلت بن مالك في عهده الحضاري، وصية لجيشه الإسلامي: "لا تغتالوهم بالقتل، ولا تسبوا لهم سبيا ولا ذرية، ولا تغنموا لهم مالا، حتى تسيروا إليهم بأنفسكم" أي تقيموا عليهم الحجة، وتنذروهم بأخطار نقضهم العهد، وترغبوهم في سبل السلام، ولا يخفى ما في ذلك من رقي حضاري، فبالرغم أنهم نكثوا أيمانهم مع المسلمين، ونقضوا عهودهم مع الشراة، إلا أن الإمام في عهده أبى قتلهم غيلة دون دعوة وإنذار.

<u>الإحسان إلى الأسرى</u>:

شدد العهد أيما تشديد على ضرورة احترام الأسرى، فأوجب إطعامهم وحمايتهم واحترام حقوقهم، بل أمر الإمام بنقل الأسرى إليه "فأولئك يحملون إلي ويرفع، وينفق عليهم من مال الله من المغانم إلى وصولهم، ويرفع السلاح إلي، ومن غنم شيئا ووقع في يده شيء من النساء، فليتق الله فلا يطأهن...".

وذهب كثير من فقهاء الإباضية إلى عدم جواز الإجهاز على الجرحى الذين لا يتصور منهم القدرة على معاودة القتال الفورية "ومن اتبع موليا فقتله بغير رأي الإمام، وأجاز على جريح متعمدا، فقد خالف المسلمين

---

[37] ـ أبو بكر أحمد الكندي، المصنف، ط، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 1404هـ، 1984م، 11/ 232.

[38] ـ سورة المائدة: 2.

[39] ـ السالمي، عبدالله: التحفة، ج1، ص179-180.

[40] ـ سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، ط2، 1404هـ، 1983م، مكتبة العلوم، الموصل، رقم الحديث (150)، 75/19.

[41] ـ السالمي، تحفة الأعيان، 180/1.

[42] ـ أحمد الكندي، المصنف 11/ 54.

[43] ـ سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، ط2، 1404هـ، 1983م، مكتبة العلوم، الموصل، رقم الحديث (150)، 75/19.

وسنتهم، ومن خالفنا متعمدا بخلافنا لم نتوله"[44]، فبلغ التسامح مداه أن كانت حقوق غير المسلمين كحقوق المسلمين من حيث عدم اتّباع المدبر، قال عمرو بن جميع: " لم يتبع هاربهم، ولم يقتل جريحهم، وأما سلاح البغاة فترد إليهم"[45].

لا يشرع المسلمون في حرب المخالفين في الدين إلا إن نقضوا العهد، ومع ذلك فإن الإسلام يدعو المسلمين دعوة الناكثين إلى الإسلام أو العودة إلى العهد، فإن أبوا إلاّ التمرد، وشق الصف، وإضعاف دولة المسلمين جاز حربهم، وهو أمر معهود قديما وحديثا للحفاظ على هيبة الدولة، ووحدة أطرافها، وحماية أبنائها، وهنا يبرز فكر المدرسة النبوية، والقدوة الحسنة للصحابة من الخلفاء الراشدين، حيث تتكرر مثل هذه الوصية النبوية في عدة مناسبات.

يختتم الإمام رسالته بالدعاء للمجاهدين بدوام اللحمة، والانتصار، والظفر بثواب الدنيا والآخرة، ويوصيهم بإعلاء راية الإسلام، والحفاظ على الأمانة، فنجده ينهي خطابه المطول بقوله: " فإني أسأل الله أن يهديكم للائتلاف، وأن يؤمنكم ويؤمن بكم من المخاوف، وأن يعيذكم ويعيذ بكم من الارتجاف والاختلاف، وأن يكسيكم كل خلق واف، وكل علم كاف، وكل عمل صاف، وأن يدفع بكم أهل الإنصاف، ويملك بكم أهل الشرك والإسراف، استودع الله أنفسكم ودينكم وخواتم أعمالكم، فإنه خير حافظ وهو أرحم الراحمين، ولا يجعله الله أخر العهد بيننا وبينكم، وذكرنا وإياكم برحمته وأيدنا وإياكم بعصمته، وزادنا وإياكم من نعمته، وهدانا وإياكم لحكمته، وأعاننا وإياكم الفتن والحزن، وجعل كلمتكم العليا وكلمة الذين كفروا السفلى"[46]

كان لوقع رسالة الصلت الأثر الطيب في نفوس مجاهدين وقادة جيشه، فقد تحقق له ما أراد، وانتصر جيش الإمام انتصارا ساحقا، وهذا أمر غير مستغرب من الإمام الصلت الذي غمرت شمائله العمانيين، ووصلت مختلف أصقاع الأرض، فقد ذاع صيته أخلاقا وشجاعة وباسا، وأصبح مضرب الأمثال عند الأمم والدول بإنقاذه سقطرى، وهبه لنصرتها وما حققه من انتصار سحيق.

<u>الأسباب التي اقتضت عزل الإمام الصلت بن مالك عن الإمامة:</u>

قضية عزل الإمام الصلت بن مالك من أكبر قضايا التاريخ العماني المثيرة للجدل سياسيا وفكريا، أعتبرها البعض أسوء الفترات التي عاشتها عمان في العصر الإسلامي، فرغم أن البلاد عرفت خلال فترة حكم الإمام الصلت استقرارا وتطورا عاما في مختلف المجالات، إلا أنه تبين أنه كان استقرارا ظاهريا، إذ كانت تحاك الخطط والدسائس في الخفاء لعزل الإمام العادل الصلت في نهاية حكمه، وهو ما أثبتته الأحداث المتتابعة، وأيضا هناك ثمة مشاكل حادة كانت تؤرق أذهان الناس تحت ذلك الهدوء، وأن الجو كما قال المستشرق البريطاني "ميلز" كان ينذر بعواصف تفجر الصراعات والفوضى والحرب الأهلية وكل فظائع الغزو والهيمنة الخارجية.

أمضى الإمام الصلت بعد ذلك خمسا وثلاثين سنة في حكمه، مارس فيها العدل في أجمل صوره، وأدق مظاهره حتى شاخ وثقلت رجلاه، ولكنه ما يزال بكامل عقله النابض بالحيوية، كان الصلت وافر العقل يرى الحقيقة من خلف الستار، وعلم أنه بدأ الناس يملون عدله بدعوى كهولته، رأى القاضي" موسى بن موسى" أن الصلت غير مؤهل ليستمر في منصبه لكهولته وشيخوخته، ساير موسى مجموعة من الوجهاء منهم "الحواري بن عبدالله" و"الفضل بن الحواري"، وذهبوا إلى نزوى يريدون عزل الإمام الصلت، حين وصلوا إلى (فرق) كتبوا للصلت بما عزموا عليه، فطلب منهم مهلة ونزل ببيت ابنه، ولكن حادثه عزل الإمام أدت إلى إرباك الناس على مختلف شرائحهم في تلك الفترة، حيث تعد تجربه أولى زعزعت كيان المجتمع آنذاك بين مناصر ومعارض وتسببت في ظهور الفوضى والاختلاف في الأوساط السياسية.

رأى الصلت له طلائع كأنها رؤوس الشياطين، فكان الرأي السديد ركوب أهون الأمرين، وكان الصلت وافر العقل يرى الحقيقة من خلف الستار، وعلم أنهم غير تاركيه لما يدري من طبعهم، وكان موسى بن موسى بن علي الزعيم المقدم في عمان احتراما لمقام أبيه العلامة المطاع، ورأى موسى الثاني له في

---

[44]- أحمد الكندي، المصنف، 243/11.

[45]- عمرو بن جميع، مقدمة التوحيد، ص110.

[46]- السالمي، عبدالله: التحفة، ص

الإمامة، فسار إلى نزوى لهذه المهمة، وتابعه من الناس الذين هم على رأي عبيد الله بن سعيد بن سالم الفجحي، والحواري بن عبدالله الحداني السلوتي، وفهم بن وارث الكلبي من كلب اليحمد، والوليد بن مخلد الكندي، ومن شايعهم حتى نزلوا بفرق ثغر نزوى، واشتهر خبرهم، وبلغ الإمام اجتماعهم هنا تحقق الإمام عزيمة القوم ولعله رحمه الله لما رأى القوم مهتمين بأمر دينهم، وبشؤون دولتهم سره ذلك، فقيل أنه خرج من بيت الإمامة قبل أن تصل دعوتهم .

قال الإمام السالمي رحمه الله: ولما خرج الصلت من بيت الإمامة، بلغ ذلك" موسى بن موسى" والذين معه بفرق، فبايعوا راشد بن النظر ذلك اليوم، وهو يوم الخميس، قال: وتفرق رأي المسلمين يومئذ وفسدت أمورهم واختلفوا فيما بينهم في الرأي، ووقعت الفتنة، وذلك فأن قوما كرهوا إمامة راشد بن النظر، ولعلهم لا يرونه أهلا للإمامة، وبعضهم كرهوا نهوض موسى بن موسى ويرونه استبدادا للأمر، وامتنع عن بيع راشد عمر بن محمد الضبي، وموسى بن محمد بن علي، ولعله ابن أخي ابن علي، وعزان بن الهزبر، وزعر بن محمد بن سليمان، وعزان بن تميم، وشاذان بن الإمام الصلت بن مالك، ومحمد بن عمر بن الاخنس، ودانه بن محمد، وأبو المؤثر الصلت بن خميس، هؤلاء العلماء الجهابذة، الأجلاء قادة الأمة وهداتها قال: لم يزالوا مستمسكين بإمامة الصلت إلى أن مات.

يمكن تصنيف الأسباب التي وقع الاحتكام عليها لأخذ قرار عزل الإمام من قبل معارضيه إلى أسباب مباشره وأخرى غير مباشرة.

لعل أبرز الأسباب المباشرة التي احتكم إليها المعارضون تتمثل في كبر السن والضعف التي كان عليهما الإمام آخر حياته، خصوصا أنه أصبح ضعيف السمع والبصر ولا يقوم إلا بمساعدة" وعمر الصلت بن مالك في إمامته، ما لم يعمر إمام من أئمة المسلمين ...حتى كبر"[47]، وقيل: إنه كان يمشي على قناة معروضة[48]، وإنه كلما أراد أن يستقيم واقفا، وضع له عمود، وقد قبضه رجلان فيقبضه فيستقيم عليه[49]، مما جعل بعض ولاته لا يرجعون إليه في بعض الأمور، وهو مبرر لا يمكن الاجتماع عليه واعتباره سببا رئيسا للعزل، لان مؤسسات الدولة لا تقوم فقط على شخص الحاكم وحده، ولهذا كان من الصعب بالنسبة لحالة الإمام إقناع مؤيديه من الخاصة والعامة بهذه الحجة.

تعد حادثة سقطرى من أبرز الأسباب التي احتكموا عليها، إذ قالوا عنه:" أنه كان قد ضعف وعجز عن القيام بالدولة ونكاية العدو حتى أخذت منه سقطرى "[50]، فمن خلال سيرته يمكن القول أن السبب المباشر الذي احتكم عليه معارضو الإمام آنذاك لم يكن مقنعا ولا يحتكم إلى أحكام الفكر الإباضي الخاصة باختيار الإمام التي لا تقر مطلقا بعزل الإمام بسبب سنه أو وهنه الجسدي خاصة وان مداركه العقلية كانت سليمة إلى أخر أيام عمره.

الخلاصة: أن كثير من العلماء يجمعون على خطأ موسى بن موسى الفادح، وأنه لم يأخذ بمشورة العلماء، وهم اعتبروا الصلت هو الإمام إلى حين وفاته، وأنه لا شرعية لأي إمام في حياته، وبهذا فتح موسى بن موسى باب الفتنه في عمان التي سيكون هو نفسه أحد ضحاياها أما أكبر ضحاياها فهو الوطن والمواطن والحرية والاستقلال.

نتائج اعتزال الإمام الصلت بن مالك:

أفرزت الأمة نتائج عميقة كان لها تأثير جذري في التاريخ العماني، حيث عرفت البلاد صراعات شديدة بين المؤيدين والرافضين لها، وبقي تأثيرها إلى أن توحدت عمان من جديد على يد الإمام "ناصر بن مرشد اليعربي"، وبقيت فترة مجهولة تاريخيا يلفها الغموض، وندرة التوثيق التاريخي، وكثر من بعده تنصيب

---

[47] ـ أبو قحطان: سيرة، ص116، الأزهر بن محمد بن جعفر، سيرة ضمن مجموعه سير علماء الإباضية، ج2.

[48] ـ الكندي، محمد: بيان الشرع، ج3، ص220.

[49] ـ السيفي، محمد بن خميس " النصوص في ذكر دولة بني خروص وأئمتهم، مخطوط، الرقم العام: 1950، الرقم الخاص: 104.

[50] ـ الكندي، أحمد بن عبدالله بن موسى، كتاب الاهتداء والمنتخب من سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام، وأئمة وعلماء عمان، تحقيق سيدة إسماعيل كاشف (وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، 1985)، ص51.

الأئمة في نفس الوقت أحيانا، وتخلل ذلك أيضا ظهور زعامات قبلية قوية،، فقد تعرضت البلاد نتيجة الفتنه إلى غزو خارجي بالإضافة إلى إثارة العصبية القبلية داخليا مما تسبب في تفكك لحمة الناس، وإلى اختلافهم وحتى اقتتالهم وتشتتهم[51] .

المبحث الرابع:

اتفاقية جنيف ومقارنتها باتفاقيه الإمام الصلت بن مالك:

اتفاقية جنيف هي مجموعة من أربع اتفاقيات دولية تمت الأولى منها في 864م، وأخرتها في عام 1949م، تتناول حماية حقوق الإنسان الأساسية في الحرب أي طريقة الاعتناء بالجرحى والمرضى وأسرى الحرب، وحماية المدينين الموجودين في ساحة المعركة أو في منطقة محتله إلى آخره، دعت **الاتفاقية الأولى** اللجنة الدولية لإغاثة الجنود الجرحى والمرضى، والطاقم الطبية، ورجال الدين، ووسائل النقل الطبية والمستشفيات، وتسمى اليوم اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

الاتفاقية الثانية:

تتعلق بحماية الأفراد العسكريين الجرحى، والمرضى والغرقى في البحر أثناء الحرب، وقد حازت هذه الاتفاقية مكان اتفاقية لاهاي 1907م، وتتضمن حماية المستشفيات والطواقم الطبية البحرية.

الاتفاقية الثالثة:

تتعلق بأسرى الحرب تشمل جميع فئات الأسرى، ومواردهم المالية، والإغاثة التي يتلقونها، والإجراءات التي يتلقونها.

اتفاقية الحرب:

تتعلق بتوفير الحماية للمدنيين في الأراضي المحتلة من قبل العدو، حول تعرض المدنيين للتمييز والتعذيب، وتشمل أحكام تفصيلية بشأن الإغاثة الإنسانية للسكان في الأراضي المحتلة.

الملاحظ: أنه إذا نظرنا إلى اتفاقيات جنيف الأربع لعام 1949، نجد أن الظرف التاريخي وقت إصدار هذه الاتفاقيات لن يتكرر مره أخرى، لان الدول التي اجتمعت في مدينة جنيف لمدة أربعة أشهر(47 دولة)، وكان في ذاكرتها مآسي الحرب العالمية الثانية، هذه الاتفاقيات لا تكفي بحد ذاتها للحماية، وعندما نريد الحكم على اتفاقيات جنيف بعد 70 سنة يجب أن ننظر إليها من منظور أوسع، لان هذه الاتفاقيات نظمت حماية الأشخاص، ولم تتطرق إلى أساليب ووسائل القتال، عكس اتفاقية الإمام الصلت بن مالك التي من وصاياها أخلاقيات الحرب، وكيفية معاملة العدو والأسرى، و حماية الأفراد والتصرف في الغنائم.

العلاقة بين المسلمين وغيرهم تنظمها المعاهدات، والاتفاقيات العادلة التي لا تقتصر على جانب واحد، بل تشمل جميع الجوانب التي تهم الفرد المسلم، وهذا معهود منذ عهد الوثيقة المحمَّدية التي نظمت التعايش المشترك بين المسلمين وغيرهم في المدينة، ونظرا لأهمية رسالة الإسلام التي اعتبرت من قبل بعض المؤرخين موسوعة علمية، ومرجعا عاما فضلا منه كعهد إمام لولاته ذكره الإمام نور الدين السالمي رحمه الله [52]، كما يمكن أن نطلق عليه بالمصطلحات المعاصرة " دستور الحرب" فمن حيث الشكل أسبغت البلاغة، وأسلوب السجع على الكتاب طابعا مميزا، ومن حيث المضمون ركز الإمام إلى ضرورة التقيد بمبادئ الإسلام سلوكًا وعملاً، وأوضح أهمية الجهاد في سبيل الله، وحدد أخلاقيات الحرب التي يجب أن لا يحيد عليها أي فرد من الجماعة في الحملة مهما كانت المغريات والغنائم، لأن شرع الله هو الأصل والأساس في اتخاذ القرارات.

إن الحرب في الإسلام لا تعتمد سياسة الإبادة، بل الرحمة والرأفة، ولا تسلك مسالك الأرض المحروقة، بل الحياة الحرة الكريمة للمسلم وغير المسلم، فما شرع الجهاد إلا في سبيل الله، ومن شرعه العدل البر الرحيم، ومن أهدافه رفع الظلم والضيم لا مضاعفته والعمل على تثبيته ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل

[51] ـ الحجري، محمد بدر، عمان، الشورى م ص94.

[52] ـ الحارث، السالمي، اليسرى ص7.

لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً ﴾[53]، لقد تنفّس العالم الصعداء بفتوحات المسلمين، فكانت بردا وسلاما، حرية في العقيدة، وحقا في التعبير، ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[54].

الكنائس لا تهدم، والراهب لا يقتل، والعهدة العمرية خير شاهد، لم تعرف في قاموسهم محاكم التفتيش ولا حرب الإبادة، ولا سياسة الأرض المحروقة، بل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[55]، فما عرف العالم فاتحا أرحم من المسلمين. لم يشرع الله الجهاد إلا لصدّ العدوان، وردع البغاة، ومن هنا فلا يتحول إلى إفساد في الأرض، إن بعضا مِمَّن ينتمون إلى هذه الأمّة قد شانوا الإسلام بما يأتونه من أفعال تتصادم وأخلاقيته وعدالته، ولعل هؤلاء مِمَّن قال الله فيهم ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾ [56].

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أبرزها:

1. أظهرت الدراسات أن الصلت بن مالك قد لعب دور بارزا في توحيد القبائل العمانية تحت سلطة مركزية أدى إلى الاستقرار السياسي في المنطقة، وتمكن من بناء دولة قوية قائمة على أسس إدارية وتنظيمية ساعدت على تعزيز استقرار الحكم.
2. ركز حكم "الصلت بن مالك" على تطبيق القيم الإسلامية في إدارة شؤون الدولة، مما أدى إلى تحقيق العدالة، وترسيخ القيم الدينية.
3. أثبتت الدراسة أن فترة حكم الصلت بن مالك كانت محطة محورية في تشكيل الهوية العمانية، وتقوية الروابط الاجتماعية، فقد ترك إرثا معماريا وثقافيا، حيث أمر ببناء العديد من المساجد التي تعتبر مركزا لنشر العلوم والثقافية الإسلامية.
4. أشارت الدراسة إلى أهم الإنجازات التي قام بها الإمام " الصلت بن مالك"، أنه نجح في الحفاظ على استقلال عمان، وهذه الإنجازات لم تقتصر على عصره، بل امتدت للأجيال القادمة، كرمز للوحدة والعدالة في التاريخ العماني.

ومن أهم التوصيات التي تهدف إلى تعميق الفهم التاريخي العماني، وإبراز دور الإمام " الصلت بن مالك" كأحد رموز الوطنية المؤثرة وهي:

ـ تقترح الباحثة دراسة أعمق وأوسع لتاريخ العلاقات السياسية والثقافية والتجارية لعمان في عهد الإمام " الصلت بن مالك"، وتوصي بتنظيم مؤتمرات وندوات ثقافية، ومتاحف لتوثيق فترة حكم " الصلت بن مالك" وعرض الآثار والإنجازات المرتبطة بشخصيته، من خلال إعداد برامج ثقافية وإعلامية تعرف الجمهور بإسهاماته، وتدعوا الباحثة بضرورة إبراز دور الإمام" الصلت بن مالك" في نشر القيم الإسلامية والعدالة الاجتماعية.

المصادر والمراجع

1. أبو بكر أحمد الكندي، (1984)، المصنف، د. ط، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان.
2. أحمد بن عبدالله بن موسى الكندي، (1985)، كتاب الاهتداء والمنتخب من سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام، وأئمة وعلماء عمان، تحقيق سيدة إسماعيل كاشف، مسقط، (وزارة التراث القومي والثقافة).
3. أحمد بن سعود السيابي، (2001)، الإمام الصلت بن مالك وعهد الصلوت، ط1، مؤسسة بيت الغشام للصحافة والنشر، سلطنة عمان.
4. ـ بدرية الجهضمية، (2000)، السيرة الزكية في المرأة الإباضية.
5. ـ حارث بن سيف بن حارث الخروصي، (2010)، تاريخ عمان (بين التاريخ والأثار والجيولوجيا)، طبع بمطابع النهضة.

[53] ـ سورة النساء: 75.
[54] ـ سورة البقرة: 256.
[55] ـ سورة البقرة: 208.
[56] ـ سورة الكهف: 104.

6. خالد بن قحطان، (1989)، سيرة أبي قحطان، السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان، ط2، ج1، تحقيق سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط.
7. خلفان بن جميل السيابي، (1981)، سلك الدرر الحاوي غرر الأثر، مسقط، وزارة التراث القومي والثقافة.
8. سالم بن حمود بن شامس السيابي، (2015)، تاريخ عمان، ط2، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عمان.
9. سالم بن سعيد البوسعيدي، (2015)، الجوهر في التاريخ العماني، ط1، دار القاريء.
10. سليمان بن أحمد الطبراني، (1983)، المعجم الكبير، ط2، مكتبة العلوم، الموصل، رقم الحديث (150).
11. سليمان بن خلف بن محمد الخروصي، (2006)، ملامح من التاريخ العماني " وفاء لعماننا وإنصافاً لتاريخنا"، ط4.
12. صالح بن عامر الخروصي، (2003)، نبذة تعريفية عن ولاية العوابي، ملامح من تاريخ العوابي عبر العصور، المطابع العالمية، مسقط.
13. زاهر بن عبدالله العبري، (1998)، عهد الإمام الصلت بن مالك " محاضرة مسجلة " (تسجيلات مشارق الأنوار)، روي.
14. عبد المنعم عامر، (1984)، شائع في ذكر أئمة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط.
15. عبيدلي، (1998)، حملة الإمام الصلت على جزيرة سقطرى والعلاقات العمانية المهرية، مجلة نزوى، العدد13، مؤسسة عمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان، مسقط.
16. علي بن سالم الريامي، (2006)، قضية عزل الإمام الصلت بن مالك الخروصي: نتائجها السياسية وأثارها الفكرية على عمان حتى أواخر القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي (دراسة تاريخية) رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإجتماعية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان.
17. محمد علي البار، (1998)، يوم الصلت في سقطرى، المجتمع، الكويت.
18. محمد بن خميس السيفي، " النصوص في ذكر دولة بني خروص وأئمتهم، مخطوط، الرقم العام: 1950، الرقم الخاص: 104.
19. ـ مقال عن قرية الصلوت بوادي بني خروص بالعوابي إرث حضاري وشواهد تاريخية باقيه، الكاتبة منى منصور الخروصية، (2020)، جريدة الوطن.